



الحزب يتخطّب في أصعب أزمات التمدد الاستراتيجي الزائد.

وهو سيكون محظوظاً للغاية إذا ما خرج منها ببعض الكسور والجروح فقط.

لأننا إذا ماقلنا أن حزب الله اللبناني غاطس هذه الأيام في مرحلة هي الأسوأ والأخطر منذ تأسيسه في العام 1982.

لماذا؟ لأن خطر "التمدد الاستراتيجي الزائد" يحique به من كل جانب.

فهو متورط في معارك عسكرية يخجل من الإعلان عنها إلى جانب النظام السوري، خوفاً من استدعاء ماتبقى من شعبية له بين صفوف السنة العرب واللبنانيين الذين كانوا يهتفون باسمه ويرفعون بيارقه في كل مكان خلال وبعد حرب 2006. وهو يرقص مع إسرائيل على حافة الهاوية، مرة بسبب مضاعفات الحرب السورية ومصير الأسلحة الكيميائية والصاروخية السورية، ومرة أخرى بسبب حاجة بنيامين نتنياهو إلى تصعيد أمني لتعبئة المجتمع الإسرائيلي المندفع إلى الحركات المطلبية الاجتماعية- الاقتصادية (كما دلت الانتخابات الأخيرة) وراءه.

ثم جاء الاتهام البلغاري له بتنفيذ الهجوم على السياح الإسرائيليين في تموز/يوليو الماضي، ليضعه في موقف حرج للغاية مع أصدقائه الأوروبيين (خاصة منهم الفرنسيين والألمان) الذي يتعرضون الآن إلى ضغوط أميركية- إسرائيلية قوية لوضعه على لائحة الإرهاب ومصادرته أصوله المالية وشبكات أعماله وشركاته.

وفوق هذا وذاك، يبدو حزب الله مضطراً للتعامل مع وضع داخلي خاص به ووضع سياسي لبناني يزدادان صعوبة وتعقيداً يوماً بعد يوم.

فقواعد الحزب التي رُبِّيت على الالتزام الإيديولوجي بولاية الفقيه والأمة الإسلامية ومبادئِ المقاومة، تجد نفسها مطالبة، وبعد التوقف الكامل لعمليات المقاومة غداة حرب 2006، بالتأقلم مع أجندَة سياسية محلية داخل وطن محلي. وهذا بالطبع لن يكون البتة أمراً سهلاً.

وما يفتقن من هذه الأزمة الحزبية انغمس قيادة الحزب أكثر فأكثر في وحول سياسات النظام الطائفي اللبناني، من دون أن يكون لها تصور واضح حول "أي لبنان تريد".

تماماً كما كانت قيادة المارونية السياسية في سبعينيات القرن العشرين التي كانت تردد هي الأخرى شعار "أي لبنان نريد" ليتبين بعد ذلك أنها هي نفسها لم تكن تعرف ما تريده.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك المحكمة الدولية حول لبنان والاتهامات الأخرى للحزب بالوقوف وراء بعض محاولات الاغتيال، من بطرس حرب إلى سمير جعجع، لأدركنا أي منقلب يتقلب فيه حزب الله في هذه المرحلة.

كيف يمكن لحزب الله الخروج من هذه الورطات متعددة الرؤوس، والتي تحمل كل منها في طياتها مشاريع حروب أو انفجارات أو انقسامات؟

خيارات الحزب الذاتية أو الإرادية مستبعدة.

فهو ملزم بمواصلة حربه "السرية" إلى جانب آل الأسد، سواء بناء على طلب مباشر من علي الفقيه الإيراني، أو لرغبة في الحفاظ على ماتبقى من خطوط إمدادات عسكرية له من سوريا.

وعلى رغم أنه لا يريد حرباً مع إسرائيل في هذه المرحلة، لأنها ستؤدي إلى تدمير الجنوب والبقاع مجدداً بكلفة لن تستطيع إيران المأزومة اقتصادياً بشدة تحملها هذه المرة، إلا أن قرار الحرب والسلم موجود الآن في كتف القيادة الإسرائيلية التي بات في مقدورها بكل بساطة قطع الإمدادات العسكرية عن الحزب حتى داخل الأراضي السورية، كما دلت على ذلك الغارة الإسرائيلية مؤخراً.

ولاريب أن هذا التطور سيشجع نتنياهو على التفكير جدياً بمواصلة ما انقطع من حرب 2006. وأخيراً، خيارات الحزب الداخلية تبدو كلها من نوع أحلاها مرّ، لأن النقلة من حزب المقاومة الإسلامية إلى حزب المصالح المحلية السياسية ستكون أشبه بالانتقال من كوكب إلى آخر.

سيواصل الحزب التخبط في أسوأ أزمات تمده الاستراتيجي الزائد.

وهو سيكون محظوظاً للغاية إذا ماتخرج منها ببعض الكسور والجروح فقط.

كل هذا لا يترك للحزب سوى مخرج وحيد: وصول المفاوضات المباشرة المرتقبة بين إيران والولايات المتحدة إلى صفقات ما، سواء أكانت كبرى أو صغيرة، الأمر الذي سيسهل عليه اتخاذ قرارات مغايرة تماماً لتلك المتوفرة له الآن.

لكن، وإلى أن يبين الخطيب الأبيض من الأسود في هذه المفاوضات، سيواصل الحزب التخبط في أسوأ أزمات تمده الاستراتيجي الزائد.

وهو سيكون محظوظاً للغاية إذا ماتخرج منها ببعض الكسور والجروح فقط.

اليوم غداً

المصادر: